الأمير مولاي هشام يعلق على كتاب: "محمد السادس،سوء الفهم الكبير"

لاحق لأي كان ليتدخل في حياة الملك الشخصية

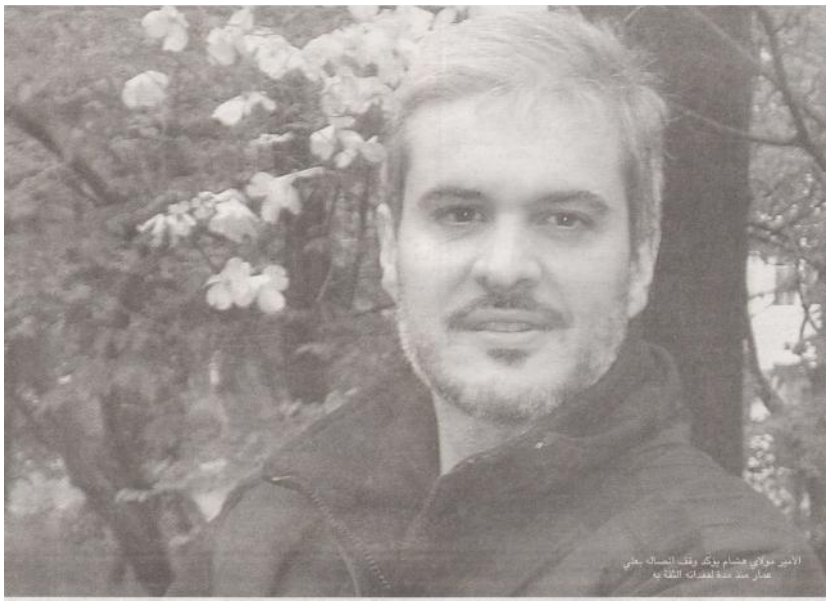

إن الملكية المغربية تظل من وجهة نظر دستورية ملكية مطلقة وبالتالي يصبح ممكنا بل ومبررا تحليل طريقة حكامتها من زوايا نظر مختلفة،ولكن هذا لا يعطي الحق لأي كان كي يتدخل في حياة الملك الشخصية.

هذا المقال الذي توصلنا به من الأمير مولاي هشام بن عبد الله العلوي رأي في ما جاء في كتاب "محمد السادس:سوء الفهم الكبير". وكما سيلاحظ القارئ فإن الأمير لم يلبس قفازات من حرير ليعلق على مضامين كتاب الصحافي علي عمار، بل كان مباشرا وقويا، وهو شيء مفهوم بالنظر إلى ما نشر في الكتاب حوله، ولهذا نجده يستعمل كلمات كالطلقات من قبيل الاشمئزاز والأفكار السخيفة والعبارات المبتذلة والبطل الساذج والذوق الرديء والوقح والوضيع، ليصل إلى رسم صورة عن كتاب تغيب عنه المهنية والرؤية السياسية لتحليل أوضاع المغرب خلال العشرسنوات الأخيرة، مع استغرابه الشديد مما نسب إليه من معطيات حسلسة حول الملك وحياة القصر دون تمحيص و لا تدقيق، و هذا نص المقال.

بقلم: مولاي هشام بن عبد الله العلوي

اطلعت على الكتاب الذي أصدره السيد علي عمار بعنوان "محمد السادس، سوء الفهم الكبير" (كالمان ليفي 2009)، ولا يسعني سوى التعبير عن إحساس الاشمئزاز الذي انتابني إزاء أفكاره وأسلوبه. وعوض أن يقدم الكاتب حصيلة رصينة موضوعية عن عشر سنوات من حكم الملك محمد السادس، قدم لنا خليطا من الأفكار الجاهزة المبيتة عن شخص الملك وزوجته والعائلة الملكية، وأيضا عن العديد من الشخصيات السياسية والمفكرين والفنانين والصحفيين ومناضلي الجمعيات. يبدو إذن أن وراء الهدف الذي يسعى علي عمار إلى تحقيقه نوايا لا تدعو إلى الاطمئنان، فالكتاب ليس فقط أجوف لا يأتي بجديد، بل إنه يتمادى ويغالي بلستعمال مفردات السباب والإساءة إلى الناس التي لا تفلح في التغطية على خواء المضمون. ولن يخفى على القارئ اللبيب أن هذا الكاتب تنقصه الجدية اللازمة، كما سيلاحظ من الناحية المهنية الفارق بينه وبين جدية وجودة المنبر الذي ينسب نفسه إليه.

فعوض أن يقدم تحليلا جديدا للنظام السياسي، تراه يجتر أفكارا سخيفة لا يشفع لها توظيف مفردات متعالمة من قبيل "ملكية مفرطة" (hypermonarchie)، أو "أعراض السلطان المرضية"...

فهو عندما يتظاهر بمعالجة قضية تورط الملكية في النظام الاقتصادي، فإنه لا يكشف عن آليات ذلك التورط، ولا يقيم كلفة ذلك على المغرب. كما أننا لا نعثر على حديث عن العمل الذي تقوم به النخب المكلفة بإنجاز هذه المهمة، وعوض ذلك

يعمد الكاتب إلى تقديم صورة عن بعض الأفراد الذين تحركهم أطماع لا حد لها، وينسج حول نمط حياة القصر.

وفي غضون ذلك، تصبح قضايا من قبيل تصفية آخر بقايا الاستعمار في الصحراء وحق المغرب في وحدته الترابية ذريعة لكي يتغنى الصحفي بأمجاده الفردية كمناضل في مجال حقوق الإنسان.

وعوض أن يحلل الكاتب قضية المنظري من منظور يجعلنا نتعرف على قضية السلطة الشخصية في تشابكها مع البنيات العائلية والجنس والمال، يعتمد أسلوب الروايات البوليسية لا أقل ولا أكثر. وعندما يتناول مسألة الراحل إدريس البصري وما قام به من أفعال في عهد المرحوم الملك الحسن الثاني باعتباره أداته الطيعة، فإنه لا يعمد إلى المعالجة الضرورية لمفاهيم السلطة وممارساتها الجديدة التي أتى بها إدريس البصري (بل وأدرجها في بنية الدولة وتنظيمها)، فتشابك البنيات الإدارية والاعتماد على النخب القروية الجديدة، كلها مفاهيم وممارسات تطرح جانبا لصالح عبارات مبتذلة من قبيل"الصدر الأعظم". وعندما يتطرق إلى قضية في مثل حيوية المدونة، فإنه يدير الظهر للتاريخ الطويل من النضال النسائي و للتحكيم الملكي، ليطلق العنان لتعليقات فجة حول ذوق الأميرة للا سلمى في اختيار ملابسها.

وفي حقيقة الأمر، فإن الكاتب يحد نفسه بحدود تجربة جريدته لا يتجاوزها، وأيضا داخل دائرة اجتماعية مهنية محصورة، فيما هو يدعي الحديث عن المغرب وشعبه، مانحا نفسه بسذاجة دور البطل. وفي خضم ذلك يتم تجاهل التاريخ الطويل من نضال منابر صحفية عديدة من قبيل العلم والتحرير والمحرر و لامواليف وأنفاس وكلمة ... دون الحديث عن الصحف التي ما زالت متواصلة الصدور. باختصار، كل شيء يبتدئ وينتهي عند علي عمار وجريدته "لوجورنال"، وعموما، فإن البلد بأكمله هو وشعبه يصبحان مجرد ديكور للتزيين.

وضمن هذه اللوحة المصطنعة التي تنم عن ذوق رديء، تبلغ الوقاحة بعلي عمار حدا يرى معه أن لا أحد من الفاعلين الاجتماعيين المغاربة يتصرف انسجاما مع قناعاته ومثله، إذ ليس ثمة في نظره سوى التصرفات الإستراتيجية، لهذا نراه يعامل بعض قدماء المناضلين الذين اختاروا الالتزام السياسي كمجرد انتهازيين. ويتم أيضا الاستخفاف ببعض الوزراء و المسؤولين الكبار كما لو أن الأمر يتعلق بمجرد بيادق لا تحركها سوى المنفعة الخسيسة. أما المفكرون، فإنهم جميعا متهمون بالصمت المتواطئ، وأما ترعرعي وتشبعي بالحس القومي العربي سواء في المشرق أو المغرب، فإن السيد عمار يعتبره مجرد هواية شخصية، كما أن عملي في المستوى الدولي لا يقدم سوى كمسابقة من مسابقات ملكات الجمال. وأخيرا، فإن دعوتي إلى الديمقراطية منذ عهد الحسن الثاني ليست في نظره غير حيلة لنيل جزء من كعكة السلطة. مجمل القول، كل شيء في الكتاب يوحي أننا أمام معركة فريدة يتواجه فيها الملك وعلي عمار، مما يدل على أن الصحفي الكاتب افتقد كل المقاييس واختلطت عليه جميع الأمور.

إن الملكية المغربية تظل من وجهة نظر دستورية ملكية مطلقة، وبالتالي يصبح ممكنا بل ومبررا تحليل طريقة حكامتها من زوايا نظر مختلفة، ولكن هذا لا يعطي الحق لأي كان كي يتدخل في حياة الملك الشخصية. والحال أن علي عمار لا يكتفي بهذا التدخل، بل إنه لا يجد غضاضة في استعمال تحليلات نفسية منحطة متهافتة.علينا ألا نشغل أنفسنا في أمور جانبية من هذا القبيل، بل يجب أن نوجه خطانا التوجيه الصحيح مركزين النقاش حول نوعية الحكامة وتعريف السلط واحترام حقوق الإنسان، من دون أن نداهن الملكية، ولكن أيضا في إطار احترام كرامة الناس وحياتهم الشخصية.

إن الكتاب يعكس بالأحرى اختلاط الأمور وعدم وضوحها في ذهن الكاتب. فهو قد ألفه دون أن يتحرى الدقة المهنية، ودون وازع أخلاقي يكبح اندفاعاته. وفي ما يخصني شخصيا، فإن عدم نزاهته و وضاعته تبلغان حدا لا يطاق . فلقد لاحظت أن الكاتب يسمح لنفسه بالاستشهاد بأقوالي دون أن يكلف نفسه عناء التدقيق والتمحيص، والأدهى أنه يجزل لي الشكر كما لو أنني كنت أحد مصادره. و نظرا لفقداني الثقة في نزاهة صاحب هذا الكتاب والشكوك التي ساورتني، فقد كنت أوقفت أي اتصال لي به منذ مدة.